مغامرة في بحر المرجان

محمود سالم



مغامرة في بحر المرجان

تأليف
محمود سالم



مغامرة في بحر المرجان

محمود سالم

الناشر مؤسسة هنداوي
المشهرة برقم ١٠٥٨٥٩٧٠ بتاريخ ٢٦ / ١ / ٢٠١٧

يورك هاوس، شييت ستريت، وندسور، SL4 1DD، المملكة المتحدة
تليفون: ١٧٥٣ ٨٣٢٥٢٢ (٠) ٤٤ +
البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org
الموقع الإلكتروني: https://www.hindawi.org

إنَّ مؤسسة هنداوي غير مسئولة عن آراء المؤلف وأفكاره، وإنما يعبِّر الكتاب عن آراء مؤلفه.

تصميم الغلاف: وجدان توفيق

الترقيم الدولي: ٩٧٨ ١ ٥٢٧٣ ٢٥٩٠ ٦

صدر هذا الكتاب عام ١٩٧٩.
صدرت هذه النسخة عن مؤسسة هنداوي عام ٢٠٢٢.

جميع حقوق النشر الخاصة بتصميم هذا الكتاب وتصميم الغلاف محفوظة لمؤسسة هنداوي.
جميع حقوق النشر الخاصة بنص العمل الأصلي محفوظة لأسرة السيد الأستاذ محمود سالم.

المحتويات

من هم الشياطين الـ «١٣»؟

إنهم ١٣ فتًى وفتاةً في مثل عمرك، كلٌّ منهم يُمثِّل بلدًا عربيًّا. إنهم يقفون في وجه المؤامرات الموجَّهة إلى الوطن العربي ... تمرَّنوا في منطقة الكهف السِّري التي لا يعرفها أحد ... أجادوا فنون القتال ... استخدام المسدسات ... الخناجر ... الكاراتيه ... وهم جميعًا يُجيدون عدة لغات.

وفي كل مغامرةٍ يشترك خمسة أو ستة من الشياطين معًا ... تحت قيادة زعيمهم الغامض رقم «صفر» الذي لم يرَه أحد، ولا يعرف حقيقته أحد.

وأحداث مغامراتهم تدور في كل البلاد العربية ... وستجد نفسك معهم مهما كان بلدك في الوطن العربي الكبير.

أبطال هذه القصة

رقم «١»: «أحمد» من مصر.

رقم «٢»: «عثمان» من السودان.

رقم «٣»: «إلهام» من لبنان.

رقم «٤»: «هدى» من المغرب.

رقم «٥»: «بو عمير» من الجزائر.

رقم «٦»: «مصباح» من ليبيا.

رقم «٧»: «زبيدة» من تونس.

رقم «٨»: «فهد» من سوريا.

رقم «٩»: «خالد» من الكويت.

رقم «١٠»: «ريما» من الأردن.

رقم «١١»: «قيس» من السعودية.

رقم «١٢»: «باسم» من فلسطين.

رقم «١٣»: «رشيد» من العراق.

رقم «صفر»: الزعيم الغامض الذي لا يعرف حقيقته أحد!

الذهب ... في مدينة «ماكاي»

أُضيئت الخريطة في قاعة الاجتماعات بالمقرِّ السرِّيِّ للشياطين. كانت قارة «أستراليا» السابحة في مياه المحيطَين الهادي والهندي تظهر بوضوح، وظهر سهمٌ أحمر، ثم مجرًى يُحدِّد أماكنَ معينةً على الخريطة. بدأت أجزاءٌ منها تختفي، لتظهر بجلاء أكثر في أجزاء أخرى، ثم تركَّزت عند ولايتَين فقط من ولايات القارة. في الشمال عند ولاية «كوينزلاند»، وفي الجنوب عند ولاية «نيو ساوث ويلز»، ثم ظهر سهمٌ أصفر، يشير إلى مجرًى محدِّدًا خطَّ السكة الحديد الذي يربط الولايتَين، ثم ظهرَت نقطةٌ حمراء عند علامة محددة على نهر «كولجوا» حيث تَعبُر السكة الحديد النهر، وواحدة بعد أخرى ظهرَت نُقَط حمراء؛ نقطة عند الشاطئ الشرقي لولاية «كوينزلاند» التي تُطلُّ على بحر «المرجان» حيث تقع مدينة «ماكاي»، ثم نقطة أخرى عند شاطئ ولاية «نيو ساوث ويلز» في اتجاه الشرق أيضًا، حيث تقع مدينة «لزمور»، ثم عند الشاطئ الجنوبي لنفس الولاية، حيث يقع ميناء «سدني».

كان الشياطين يتأملون الخريطة بتفاصيلها، وفي نفس الوقت ينتظرون قدوم رقم «صفر» الذي انصرف منذ قليل، حيث كانت هناك رسالةٌ من خارج المقر، ومضَت دقائق قبل أن يَصِل إلى سمْع الشياطين وقْعُ خطوات رقم «صفر» وهو يقترب، ثم توقَّفَت الخطوات، وبدأ صوتُه يَصِل إليهم. قال رقم «صفر»: لعلكم تأملتم جيدًا الخريطةَ التي أمامكم ... إن هذه المساحة الواسعة سوف تجري فيها أحداثُ مغامرتكم الجديدة.

توقَّف رقم «صفر» قليلًا، بينما كانت أعين الشياطين تجري فوق مساحة الخريطة، حيث تمتدُّ الولايات من شمال القارة إلى جنوبها، وحيث يظهر في اتجاه الشرقِ الحاجزُ المرجاني الكبير، الذي يقع في بحر «المرجان»، فيكاد يسدُّ الشاطئ الشرقي أمام أمواج المحيط الهادي.

جاء رقم «صفر» يقول: إن عصابة «سادة العالم» سوف تقوم بعملية سطوٍ ضخمة، في المنطقة التي يَعبُر فيها قطارُ السكة الحديد نهرَ «كولجوا» بين الولايتَين، فسوف يحمل قطارُ السكة الحديد حمولةً ضخمة من الذهب، تُقدَّر بحوالي مائة طن ... وقد وصلَتنا معلوماتٌ متفرقة من عملائنا في العالم، فسوف تتحرك إحدى الغواصات التابعة للعصابة والتي تجوب مياه المحيطات، دون أن تتوقف في مكان معين، لتتَّجهَ إلى مدينة «ماكاي»، على ساحة ولاية «كوينزلاند»، حيث بحر «المرجان». وهناك سوف تنزل مجموعة النَّسْف، التي ستقوم بنَسْف الخط الحديدي عند عبور القطارِ نهرَ «كولجوا». إن مجموعة النسف، ولنُسمِّها المجموعة «س»، سوف تنزل في مدينة «ماكاي» لتنتقل إلى موضع تلك النقطة المضيئة على الخريطة.

صمَت رقم «صفر»، واختفَت كلُّ النقط المضيئة من الخريطة، فيما عدا نقطة واحدة، هي النقطة التي سوف يَعبُر القطارُ عندها نهرَ «كولجوا» ... بعد لحظة قال: هذه النقطة سوف يحدث فيها الانفجار. إن المجموعة «س» سوف تقوم بوضع موادَّ ناسفة، تنفجر عند توقيت معين، هو الساعة الرابعة صباحًا، يوم ٥ أغسطس.

رفع «أحمد» يدَه بسرعة، ثم نظر في تاريخ اليوم والساعة ... كانت الساعة تُشير إلى الثانية عشرة ظهرًا، وكان التاريخ يُشير إلى يوم ٢ أغسطس ... كان هذا يعني أن المهمة قد بدأت، أو أنها توشك أن تبدأ.

قال رقم «صفر»: إن المعلومات لدينا تقول إن المجموعة «س» سوف تصل مدينة «ماكاي» يوم ٣ أغسطس، ثم تتحرك حركتَها خلال يومين، لتنتهيَ من مهمة وضْع الشحنات الناسفة قبل التاريخ المحدَّد. في نفس الوقت تكون مجموعة السطو، ولنُسمِّها المجموعة «ط»، في حالة استعداد لنقل كمية الذهب إلى ميناء «سدني»، حيث تكون مجموعة ثالثة وهي مجموعة النقل، على استعداد للانتهاء من العملية كلها.

صمتَ رقم «صفر» وسمع الشياطين صوتَ أوراق تُقلب. بعد لحظات قال رقم «صفر»: هذه هي خطة العصابة ... والمفروض أن نقْلَ كمية الذهب هذه مسألةٌ سريَّة وتتم لصالح بعض البلاد العربية ... لكن عصابة «سادة العالم» قد توصَّلت إلى تفاصيل المسألة؛ لهذا فأمامنا ثلاثُ مجموعات من العصابة، متفرقة في ثلاثة أماكن؛ مجموعة في «ماكاي»، ومجموعة عند نقطة نهر «كولجوا»، ومجموعة ثالثة في ميناء «سدني»، ونحن لا تهمُّنا كثيرًا المجموعة الثالثة؛ لأن عملَها لن يتمَّ إلا إذا أتمت المجموعتان الأخريان عملَهما ... إذن تُصبح المجموعة «س» هي الأهم، ثم المجموعة «ط»، فإذا فشلت خطة عمل المجموعة «س» فلا يتم عمل المجموعة «ط»، أو المجموعة الثالثة.

كان يبدو أمام الشياطين أن المهمة شاقة، وأنها تحتاج مجموعة الشياطين كلها ... غير أن رقم «صفر» الذي صمت قليلًا قال: المسألة ليست شاقة وليست صعبة كما يبدو. إننا سوف نُركز أكثر على المجموعة «س» التي تُحقق عملَ المجموعتَين الأخريَين، لكن ذلك لا يمنع أن نهتمَّ بالمجموعة «ط» أيضًا، ضمانًا لعدم حدوث أيِّ شيء ... إننا سوف نحتاج إلى مجموعتَين؛ مجموعة يكون عملها في مدينة «ماكاي» أمام ساحل بحر «المرجان»، ومجموعة يكون عملها عند نقطة العبور فوق نهر «كولجوا».

نظر الشياطين إلى بعضهم قليلًا، ثم شدَّ نظرَهم قولُ رقم «صفر»: إن المعلومات التي توافرت لدينا عن الغواصة تقول إنها متوسطةُ الحجم، وصوتُ ماكيناتها يمكن رصدُه؛ فهي غواصة قديمة؛ ولهذا فإنها سوف تصل إلى الساحل الشرقي لولاية «كوينزلاند» في الثالثة من صباح يوم ٣ أغسطس، وسوف يقود المجموعةَ «س» رجلٌ يُدعَى «والتر»، وهو في الأربعين، قويُّ البنية، اشترك في حرب «فيتنام»، وهو ماهرٌ في عمليات النسف، ومجموعتُه تضمُّ أربعةَ رجال ... أما المجموعة «ط» فيقودها «داش»، وهو أحد الرجال الذين تعتمد عليهم العصابة، ومجموعتُه تضم ثمانية.

صمَت رقم «صفر» قليلًا ثم قال: الآن، يمكن أن نبدأ المناقشة، إذا كان هناك أسئلة.

نظر الشياطين إلى بعضهم، ومرَّت فترةُ صمت، لم يتحدث خلالها أحد. في النهاية قال الرقم «صفر»: أتمنى لكم التوفيق.

سَمِع الشياطين صوتَ أقدام رقم «صفر» تبتعد شيئًا فشيئًا، حتى تلاشَت تمامًا. كانوا لا يزالون يجلسون في أماكنهم دون أن ينطقَ أحدُهم بكلمة، بينما كانت الخريطة قد أُضيئَت كلها الآن، فظلوا يتأملونها. في النهاية قال «عثمان»: يجب أن ننصرف فورًا؛ فإن عملية التنظيم ستحتاج إلى بعض الوقت.

أخذوا يخرجون من القاعة، الواحد بعد الآخر، وعندما ضمَّتْهم حجرةُ «أحمد» قالت «إلهام»: يجب أن نُحدِّدَ المجموعاتِ بسرعة.

زبيدة: إننا سوف نحتاج إلى مجموعتَين فقط كما ذكر رقم «صفر».

صمتَ الشياطين ... كان كلٌّ منهم قد استغرق في تفكيره، في النهاية قال «رشيد»: أعتقد أننا يجب أن نُركز على مجموعة واحدة، هي المجموعة الأولى، التي تقابل المجموعة «س» على أن تكون مجموعةً قوية وقادرة على إيقاف عمل المجموعة الأولى ... ما رأيكم؟

أحمد: هذه حقيقة! فإنَّ فشَلَ عملِ المجموعة «س» يعني فشَلَ المجموعتَين الأخريَين.

فهد: لكننا لا نضمن الظروف، قد يحدث شيء بالنسبة لعمل المجموعة «س»؛ ولهذا يجب أن نجهز مجموعة ثانية تعمل أمام المجموعة «ط».

طال الحوار بين الشياطين، لتحديد عدد المجموعات المطلوبة واستقروا في النهاية على تكوين مجموعتَين، مع بقاء مجموعة ثالثة، تكون على استعدادٍ للتحرُّك في أي لحظة …

تكوَّنت المجموعة الأولى، والتي أطلقوا عليها المجموعة «س/أ»، من «أحمد» و«عثمان» و«هدى» و«فهد»، وتكوَّنت المجموعة الثانية والتي أطلقوا عليها المجموعة «ط/ب» من «مصباح» و«رشيد» و«إلهام» و«باسم» … أما باقي الشياطين فقد ظلوا على استعداد في المقر.

فُتحت الأبواب الصخرية للمقرِّ السري وانطلقَت سيارتان، كلٌّ واحدة تحمل مجموعةً في الطريق إلى أقرب مطار، حيث تبدأ رحلة الطيران إلى «أستراليا» … كان المناخ حارًّا في هذا الوقت من السنة، إلا أن العربات المكيفة تُلغي تمامًا أيَّ إحساس بالحرارة، اللهم إلا السراب الذي كان يظهر في الأفق، فيبدو كسَيلٍ من الفضة الذائبة … ولشدةِ الحرارة، فقد كان الطريقُ خاليًا تمامًا في مثل هذا الوقت من النهار، حيث كانت الساعة تُشير إلى الثانية ظهرًا.

كان كلُّ شيء جاهزًا في انتظار انطلاق الشياطين … كانت تذاكرُ الطائرة قد حُجزت، وكان الموعد معروفًا لديهم، فسوف تُغادر الطائرةُ المطارَ في الخامسة عصرًا، وكان هذا يعني أن الوقت أمامهم يكفي لوصولهم، أمام سرعة انطلاق السيارتَين، وعندما دقَّت الساعة الرابعة، كان الشياطين يقفون أمام باب المطار. لم تكن المجموعتان معًا، بل كانت كلٌّ واحدة تتصرف على حدةٍ، وكأنها لا تعرف الأخرى، هكذا كان الاتفاق.

أخذَت كلُّ مجموعةٍ طريقَها إلى داخل صالة المطار التي كانت تزدحم بالناس، واتجه «عثمان» إلى بائع جرائد، فقد لفَت نظرَه مجلةٌ عليها صورة غواصة، وكانت المجلة عن أعماق البحار، فاشترى «عثمان» المجلة، ثم لَحِق بمجموعته.

عندما دقَّت الساعة الخامسة، كانت الطائرة تتحرك من مكانها، تحمل ركَّابَها، وبينهم مجموعتَا الشياطين. وعندما استوَت في الجو تمامًا، جاء صوتُ مذيعة الطائرة تتمنَّى للركاب رحلة موفقة وتُحدِّد لهم الطريق، والمسافة، وارتفاع الطائرة.

وألقى «أحمد» بصرَه في اتجاه المجموعة «ط/ب» التي كانت تجلس في صفٍّ واحد، وقد غَشِيها النعاسُ، فنامت ولم تكَدْ تمرُّ دقائق، حتى شعر «أحمد» بدفء جهاز الاستقبال فعرف أن هناك رسالةً ما، وبدأ يتلقَّى الرسالة، وكانت من رقم «صفر»، كانت الرسالة تقول: «لقد تحرَّكَت الكرةُ من مكانها في اتجاه الملعب. الفريق جاهز تمامًا. سوف تنطلق الصفارة في موعدها المحدد.»

فَهِم «أحمد» معنى الرسالة، وبسرعةٍ أرسلها إلى «رشيد» الذي كان مسئولًا عن قيادة المجموعة «ط/ب» ... ردَّ «رشيد»: إذن نحن على موعد للمباراة.

عندما خرجَت الطائرة من المجال الجوي العربي كان «أحمد» يفكِّر في لحظة النزول في مدينة «هجندن»، التي تَبعُد مئاتِ الأميال عن مدينة «ماكاي» الساحلية، وكان عليهم أن ينتقلوا بالطيران الداخلي إليها، بينما كان على المجموعة «ط/ب» أن تُواصل طريقها، حيث تنزل في مدينة «يورك» القريبة من نهر «كولجوا» ...

كانت الخريطة الصغيرة لا تزال مبسوطةً أمام «أحمد»، وعيناه تمرُّ على تلك المدن التي سوف يجري فيها الصراع، عندئذٍ رفع «أحمد» عينَيه، ونظر من النافذة القريبة، وكان الليل قد انتشر، وبدأت النجوم تلمع في السماء، وتبدو قريبةً تمامًا ... وعندما وقعَت عيناه على «هدى» كانت هي الأخرى تنظر إلى النجوم، فقال لها مبتسمًا: هل تبحثين عن شيء؟

قالت «هدى»: أبدًا! إنها نفس النجوم التي سوف تشهد مغامرتَنا.

أحمد: مغامرة مهمة ... أليس كذلك؟

ردَّ «عثمان» الذي كان مغمضَ العينَين: إن مغامراتِنا كلَّها مهمة.

كانت كلماتهم تأتي همسًا، حتى لا يُزعجوا أحدًا، وأخيرًا قال «فهد»: إننا نقترب من ميدان الصراع.

قالت «هدى»: نعم! إن كل خطوة تأخذنا إلى هناك.

وقبل أن يستسلموا للنوم كانوا يفكِّرون في أن هذه آخر ليلة هادئة قبل أن تبدأ المغامرة المهمة.

مغامرة ... في الفضاء

عندما نزلت الطائرةُ مطارَ مدينة «هجندن»، كان «أحمد» قد أرسل رسالةً إلى المجموعة «ط/ب» يتمنَّى لها رحلةً طيبة، حيث كانت مستمرةً في طريقها إلى مدينة «يورك». غادرت المجموعةُ «س/أ» الطائرةَ إلى أرض المطار. لم يكن هناك عددٌ كبير من المسافرين؛ ولذلك، فقد أخذوا طريقَهم إلى صالة المطار مباشرة. هناك، عرفوا أن الطيران الداخلي يطير من مطار آخر، ويبعد عن مطار «هجندن» بحوالي ساعة. فاستقلُّوا تاكسيًا إلى المطار، وكان الطريق يشقُّ أراضيَ زراعيةً مترامية. لم يكن أحدٌ من الشياطين يفكِّر في شيء سوى مراقبة الطريق، فمَن يدري، ربما يحتاجونه إليه فيما بعد، غير أنَّ «هدى» قطعَت الصمتَ متسائلةً: تُرى، لماذا لم تُنقل شحنة الذهب بالطائرة؟

انتبه «أحمد» للسؤال، في نفس اللحظة التي نظر فيها «عثمان» و«فهد» إلى «هدى»، قال «أحمد»: إن الحراسة في الطريق البري أسهلُ كثيرًا من الحراسة في الفضاء! إنَّ أيَّ إنسان يستطيع بمفرده أن يخطفَ طائرة، ولقد سمعنا عن خَطْف الطائرات كثيرًا. لكن على الأرض فإن الموقف يختلف.

مرة أخرى عادوا إلى الصمت، بينما كانت السيارةُ مندفعةً في طريقها بأقصى سرعة ... إلا أن «هدى» عادَت للحديث من جديد، قائلةً: إن مجموعتَنا الأخرى، لا تزال في المطار الآن.

رفع «أحمد» ساعةَ يدِه ونظرَ فيها ثم قال: إنها تُقلع ... الآن. ثم نظر إلى السائق وسأله: هل تستغرق الطائرة كثيرًا حتى تصل إلى «ماكاي»؟

ودون أن ينظر السائق إليه، أجاب: حوالي ساعة في الأحوال العادية.

أحمد: تقصد عندما يكون الطقس جيدًا؟

هزَّ السائقُ رأسَه، دون أن ينطق، وكانت هزَّةُ رأسِه إجابةً كافية ليعرف «أحمد» أنه كان يقصد ذلك، وبعدها انحرفَت السيارة يمينًا ثم استمرت في سيرها، وقال السائق: أمامنا عشرُ دقائق حتى نصل إلى المطار.

سأل «عثمان»: هل حركة الطيران الداخلي نشيطة؟

السائق: ربما أنشط من حركة النقل البري ... فنحن نعتمد هنا أكثر على الطيران، حيث تمتد الصحراء مسافات شاسعة، مما يجعل النقلَ البري شاقًّا.

عثمان: لكن هذا لا ينفي وجودَ طُرقٍ برية!

السائق: بالتأكيد، وهناك سكة حديد أيضًا، وإن كانت لم تغطِّ القارةَ كلَّها بعد! ودون أن يلتفت السائق قال: ها هو المطار أمامنا ... ونظر في ساعة يده ثم قال: هناك طائرة بعد ربع ساعة إلى «ماكاي» وأظن أنكم تستطيعون اللحاق بها.

عندما توقفت السيارة أمام المطار، أسرع الشياطين بالنزول، ثم أخذوا طريقَهم إلى الداخل، واتجه «أحمد» إلى شباك التذاكر، فاشترى أربع تذاكر إلى «ماكاي» ... كان يبدو من حركة الطيران، وشباك التذاكر، أنهم يستخدمون الطائرات، كما نستخدم نحن قطار السكة الحديد ... أسرعوا إلى الطائرة، التي كانت تقف غير بعيدة عنهم، وعندما بدءوا صعودَ السُّلَّم نظر «أحمد» في ساعة يده، فعرف أنها على وشَك الطيران.

لم تمضِ دقائق بعد استقرارهم في أماكنهم، حتى كانت مذيعة الطائرة تطلب ربطَ الأحزمة وهي تتمنى لهم رحلة طيبة ... بعد لحظات، كانت الطائرة تأخذ طريقها إلى الفضاء، ولم تكن تطير على ارتفاع كبير؛ ولذلك، فقد كان الشياطين يرَون الصحراء بوضوح.

كان الوقت يقترب من الظهيرة، وكان هذا هو ثاني يوم لهم من أيام الطيران ... غير أن الرحلة الأولى على طولها كانت رحلةً مريحة، وها هم الآن في رحلتهم الثانية، وهي رحلة طيبة أيضًا ... قال «فهد»: سوف نقضي ساعاتٍ هادئةً في «ماكاي»، قبل أن نبدأ العمل.

عثمان: إن ذلك يعطينا الفرصة لدراسة المنطقة بشكل أحسن ... إن الساحل طويل، ونحن لا نعرف على وجه التحديد طريقة حراسة الساحل هناك!

فهد: لا أظنها تختلف كثيرًا عن أي منطقة ساحلية في أي مكان. هناك دائمًا شرطة الساحل، ولنشات الحراسة، ولا شيء أكثر.

أحمد: إن الحاجز المرجاني الكبير الذي يمتد بطول الساحل الأسترالي الشرقي يعطي فرصة لحماية الساحل كله فهي منطقة وعرة، ومن الصعب الوصول إلى الساحل مباشرة.

هدى: هذا يعني أن الكرة لن تنزل الملعب مباشرة.

أحمد: أعتقد ذلك. إن اللاعبين لا بد أن ينزلوا خلف الحاجز. ثم يعبروا المسافة إلى أمامه ... حتى يمكن أن ينزلوا إلى الشاطئ.

عثمان: أعتقد أن الوقت أمامنا ويكفي لأن ندرس المنطقة أكثر.

فهد: بالتأكيد! على الأقل، سوف نحظَى برحلات بحرية طيبة.

جاء صوتُ مذيعة الطائرة، يقول: إننا الآن نقترب من ساحل بحر «المرجان»، وسوف نصل إلى «ماكاي» في خلال ربع ساعة، إذا استمر الطقس معتدلًا ... أما إذا حدثَت أيُّ مفاجآت، فإننا قد نضطرُّ إلى تصرُّف آخر.

نظر الشياطين إلى بعضهم البعض ... كانت المعلومات الأخيرة للمذيعة تعني شيئًا، ثم جاء صوتُ المذيعة مرة أخرى، يقول: نرجو أن تربطوا الأحزمة ... إننا نتعرض لبعض المطبات الهوائية، إلا أن هذه مسألة طبيعية في مناطقنا الساحلية.

لم يكَد الشياطين يربطون أحزمتهم، حتى اهتزت الطائرة بشدة، ثم تعالَت الصيحات من الركاب، وجاء صوتُ كابتن الطائرة يقول: إن هذه مسألة عادية ... ونرجو أن يكون الركاب أكثرَ احتمالًا واطمئنانًا.

اهتزت الطائرة مرة أخرى بشدة، وتعالَت الصيحات من جديد، فقالت «هدى»: إن هذه مغامرة جديدة ليست مع عصابة ... ولكنها مع الطبيعة.

قال صوت مذيعة الطائرة: أمام أيِّ احتمال ... يوجد في الجانب الأيمن لكل راكب زِر، إذا حدث شيءٌ يمكن ضغط الزِّر بقوة، وسوف يندفع الكرسيُّ وحده، وتُفتح المظلة للنزول بسلام. إننا نمر بمنطقة صحراوية، إن كابتن الطائرة ومعه طاقمها يحاولون الاقتراب من المطار ... لكن يبدو أنها مسألة صعبة نوعًا.

صمتت قليلًا، ثم قالت: سوف نُصدر لكم التعليمات تباعًا. فقط، نرجو أن تطمئنوا إلى أننا سنجتاز الأزمة بسلام.

ارتفعت موسيقى هادئة داخل الطائرة ولكن لم يكن أحد على استعداد للاستماع. وكانت الطائرة لا تزال تهتز بشدة، وبدأت «هدى» تشعر بالغثيان ونظرت إلى «أحمد» الذي فَهِم حالتها فقدَّم لها كيسًا من النايلون مثبتًا في ظهر المقعد الأمامي، حتى يمكن أن تُفرغ ما في جوفها لو شعرت بالتعب ... تماسكت «هدى» وأغمضت عينَيها لكن الألم كان يبدو على وجهها. نظر «عثمان» من النافذة وكانت الطائرة تحاول أن تخرج من الدوامة الهوائية التي قابلَتْها، فبدأ يشعر بالقلق.

مرَّت لحظات قلقة للغاية، ثم جاء صوت قائد الطائرة يقول: سوف نحاول أن ننزل في الصحراء، إن الإشارة التي وصلتنا من مطار «ماكاي» تقول إن هناك عاصفة فوق المطار، وإنه من الصعب الاقتراب ... سنحوم فترة فقد نتمكن من النزول في المطار.

سكت صوت «الكابتن» وشاهد «عثمان» الأرض تقترب بسرعة ... كان هذا يعني أن الطائرة تتجه إلى الأرض. فجأةً، بدأت الطائرة ترتفع بشكل عمودي، عرف «عثمان» أن الطائرة في مأزق الآن. ظلت ترتفع وترتفع، حتى كادت الصحراء تختفي. مرة أخرى، قال صوت «الكابتن»: معذرة، إنني مضطر أن أكشف لكم الموقف أولًا بأول، حتى تكونوا على استعداد لأي احتمال. إن الوقود الذي معنا لا يكفي أكثر من ثلث ساعة، وهذا يعني أنه من الضروري أن نحاول الآن النزول في الصحراء بأية طريقة، وإلا تعرضنا للهلاك؛ فالمطار ما زال مغلقًا في وجوه الطائرات!

شاهد «عثمان» حركةَ الطائرة الدائرية، ثم اتجاهها إلى الأرض. كانت الصحراء تقترب بسرعة رهيبة حتى إنه أغلق عينَيه. بدأ يعتمد على مشاعره فأحس بأن سرعة الطائرة تقلُّ شيئًا فشيئًا، ثم أحس أنها تأخذ دورة كاملة. فتح عينيه، كان واضحًا أنها تبحث عن مكان مسطح يمكن النزول فيه.

كانت «هدى» لا تزال مغمضة العينين، وكان «فهد» و«أحمد» يرقبان حركة الطائرة في صمت، بينما كان الركاب جميعًا قد استسلموا في هدوء ... ثم شعروا فجأةً بارتطام شيء، وعرف «أحمد» أن عجلات الطائرة قد لمست الأرض، كانت تجري بسرعة، ثم أخذت تقلل سرعتها، حتى توقفت تمامًا. ومرت فترة صمت، ثم جاء صوت «الكابتن» يقول: شكرًا لله، لقد نزلنا سالمين.

وصمتَ قليلًا ثم قال: من حسن الحظ أن الوقود قد انتهى تمامًا الآن، ونحن لسنا بعيدين عن «ماكاي» ... على كل حال إن أجهزة الطائرة كلها سليمة، ونحن على اتصال بالمطار.

لم يتحرك أحد من الركاب ... كانوا وكأنهم قد استسلموا لمشاعرهم الخاصة ... وكأنه لم يَعُد يعنيهم حتى وقوف الطائرة الآن.

قال صوت «الكابتن»: سوف نفتح الأبواب، ونُنزل السُّلَّم إذا كان أحد يريد أن يُلقيَ نظرة على المكان.

فتحَت «هدى» عينَيها ولم تتكلم. قال «أحمد»: ما رأيكم؟ إنها فرصة على كل حال أن نرى مكانًا أوسع!

فتحَت الطائرةُ أبوابَها، وأُنزل السلم. تحرَّك الشياطين إلى الباب ثم بدءوا ينزلون ... كانت الصحراء ممتدة بلا نهاية، وظهر قائد الطائرة بجوار الشياطين، وقال مبتسمًا: إنني أشكر قوة تحمُّلِكم التي ساعدتنا على التصرف بهدوء.

أحمد: إن ما حدث شيء عادي.

الكابتن: سوف تصل سيارات الإنقاذ حالًا، فقد أرسلنا رسالة إلى المطار وحدَّدنا لهم المكان الذي هبطنا فيه.

بدأ بعض الركاب يظهرون، وكانت تبدو عليهم علامات الاستفهام.

قال أحدهم: يبدو أننا فُقدنا إلى الأبد!

فابتسم «الكابتن» وقال: لا تخشَ شيئًا، إن المسألة عادية، ونحن نشكر الله أن نزلنا سالمين وسوف تصل سيارات الإنقاذ لأخذنا بعد قليل.

لم ينطق أحد بكلمة. كانت الحرارة تشتد، وأخذ بعضُ الذين نزلوا مكانًا في ظل الطائرة، ثم جلسوا على الأرض.

قال واحد: إن الحرارة مرتفعة، والطائرة لا تعمل الآن. ولا أمل في تشغيل أجهزة التكييف، فهل يطول بنا الوقت هنا؟

الكابتن: لا أظن. لقد أرسلنا إلى المطار، وحددنا المكان ... ونحن لسنا بعيدين على كل حال!

كان الوقت يمر بطيئًا ... حتى بدأ القلق يظهر على وجوه الركاب فقال «أحمد» مخاطبًا «الكابتن»: هل أجهزة الطائرة كلها سليمة، بما فيها البوصلة وأجهزة الاتصال؟

الكابتن: نعم. كل شيء على ما يرام!

فجأةً ... ظهر أحد أفراد طاقم الطائرة أعلى السلم ... كانت تبدو عليه حالة الفزع، فنظر له «الكابتن» في دهشة، ثم قال: ماذا هناك؟

حاول الطيار أن ينطق ولكن الكلمات احتُبست في حلقه ... نظر الجميع له، وأسرع الكابتن إليه ... غير أنه في النهاية استطاع أن ينطق: إن أجهزة الطائرة معطلة. ويبدو أننا أرسلنا الرسالة وحددنا مكاننا خطأً ... وإن هذه كانت آخر رسالة أرسلناها بأجهزة الاتصال.

ظهر الرعب على الجميع ... إلا الشياطين؛ فقد كان لهم خططهم الأخرى.

الوقت بطيء ويجري

صاح أحد الركاب: لقد ضعنا! إن الصحراء هنا ليست مأمونة، ويمكن أن نتعرض لأخطار كثيرة.

وقال آخر: إن الليل يقترب ... وسوف نكون غذاءً طيبًا لوحوش الليل.

أسرع «الكابتن» إلى الطائرة، حتى اختفى داخلها، وتلاقت نظرات الركاب. كان الشياطين يحاولون الآن أن يبثُّوا الطمأنينة بينهم ... قالت «هدى»: سوف نجد طريقة ما.

فهد: أقترح أن نصعد إلى الطائرة ... يجب أن نكون بجوار الطيارين حتى لا يفقدوا الأمل ... إننا جميعًا في محنة.

عثمان: نعم. نعم ... هيًّا بنا!

نظر الركاب إلى الشياطين قليلًا ... ثم بدءوا يصعدون الواحد خلف الآخر، حتى صعدوا جميعًا ... الوحيد الذي بقيَ هو «أحمد»، نظر في ساعة يده وكانت تشير إلى الخامسة عصرًا، وكان التاريخ يشير إلى يوم ٣ ... شرد «أحمد» قليلًا ... إن هذا يعني أن الغواصة إما قد وصلت الآن إلى الحاجز المرجاني، وإما أنها تدور حوله أو أنها تستخدم طريقةً أخرى. وإن هذا يعني أن الساعة الثالثة تقترب بسرعة وإذا لم يصلوا إلى مدينة «ماكاي» الآن، فإن المجموعة «س» سوف تؤدي مهمَّتها في هدوء ... أخرج جهاز الإرسال، ثم بدأ يُجرِّب موجاتِه لالتقاط الموجة التي يمكن أن يُرسل عليها إلى المطار في مدينة «ماكاي»، عندها ظهر «عثمان» على السلم، وقال: لقد انتهت محاولاتهم بالفشل! هل وصلتَ إلى شيء؟

ودون أن ينظر إليه «أحمد» قال: إنني أحاول.

أخرج «عثمان» البوصلة التي يحملها وبدأ يُديرها، حتى يمكن أن يُحدِّد المكان ... أشارت البوصلة إلى أنهم غرب بحر «المرجان»، عند خطَّي ٢١ درجة عرض و١٤٦ درجة

طول. نقل هذه المعلومات إلى «أحمد» الذي كان لا يزال يحاول، ونظر له «أحمد» وقال: ينبغي أن نكون هناك الآن ...!

أسرع «عثمان» إلى الطائرة، كان الركاب في حالة جزع صامتة وكان يبدو عليهم الذهول، فاقترب «عثمان» من طاقم الطائرة الذين كانوا يحاولون مع الأجهزة التي توقفت تمامًا ... قال «الكابتن»: يبدو أن المطبات الهوائية كانت عنيفة إلى درجة أثرت على الأجهزة.

كان الشياطين يعاونونهم، لكن دون فائدة، نظر «فهد» في ساعة يده، ثم تعلَّقت عيناه بعينَي «هدى» و«عثمان»، لقد عرف الآن فقط أن مهمتهم الأساسية يمكن أن تفشل، فكاد يجري من مكانه لولا نظرة «عثمان» إليه ... لقد فَهِم أن «أحمد» يقوم بالمهمة.

كانت الدقائق تمضي بطيئة ثقيلة. هكذا كان يشعر الركاب ... أما الشياطين فقد كانت الدقائق بالنسبة لهم تجري بسرعة أكثر من المعتاد ...

فجأةً دخل «أحمد»، وكانت الراحة تبدو على وجهه، وفَهِم الشياطين أنه نجح في مهمته.

اقترب من كابتن الطائرة وقال: سوف يكون كلُّ شيء على ما يرام.

نظر له «الكابتن» لحظة، ثم تساءل في دهشة: كيف؟ إن الأجهزة كلها معطلة ولا أحد يعرف أين نحن الآن!

قال «أحمد» في هدوء: إن الله موجود.

مرَّت لحظة، كان وجه الضابط يبدو كتمثالٍ بلا تعبير، غير أنه شيئًا فشيئًا بدأ يتغير ثم يرق ... ثم تظهر ابتسامة هادئة، ويردد: نعم. إن الله موجود.

مضت ربع ساعة ... كان الشياطين هادئين تمامًا، والركاب في حالة استسلام، ثم فجأةً قفز أحد الركاب صائحًا: هناك صوت!

بدأ بقية الركاب يستمعون إلى الصوت الذي تحدث عنه، اقترب الصوت أكثر، كان صوت طائرة، تزاحم الركاب عند الباب ... ونظر الكابتن إلى «أحمد» مبتسمًا، وهو يقول: إن الله موجود.

نزل الركاب يلوحون بثيابهم إلى الطائرة التي كانت تقترب.

أعطت إشارة ضوئية، ثم بدأت تنزل في هدوء، حتى توقفت على الأرض ... كانت طائرة هليوكوبتر ضخمة.

لم يتحرك أحد، حتى ظهر بعضُ ملاحي الطائرة، وتقدم قائدها، يقول: إنكم محظوظون بالتأكيد ...

التقى بقائد الطائرة وقال: لقد اختفَت آثاركم بعد آخر رسالة ... ويبدو أنها كانت خاطئة.

كابتن الطائرة: إذن، كيف عرفتم مكاننا؟

كابتن الهليوكوبتر: يبدو أن أحد هواة اللاسلكي قد شاهد طائرتكم، فاتصل بنا!

نظر الكابتن إلى «أحمد» الذي أسرع يقول: الله موجود.

ابتسم «الكابتن» ثم بدأ الركاب ينقلون حقائبهم، متجهين إلى طائرة الإنقاذ، ولم تمضِ نصف ساعة، حتى كانت تهبط في مطار «ماكاي» ... كانت الساعة قد تجاوزت السادسة وكان هذا يعني أن على الشياطين أن يُسرعوا بالتحرك.

عرفوا من استعلامات المطار أن أقرب فندق إلى الشاطئ هو فندق «فيكتوريا» وهو نفسه الذي ينزل عنده ركاب الطائرة. وانطلقت سيارة النقل الضخمة بسرعة في طريقها إلى فندق «فيكتوريا» ...

كانت مدينة «ماكاي» الساحلية تظهر من بعيد، وبدأت نسمات البحر تصل إلى الشياطين، فشعروا بالانتعاش. لم تمضِ نصفُ ساعة حتى كانوا يقفون أمام الفندق، وأسرعوا بنقل حقائبهم الصغيرة، ثم أخذوا طريقَهم إلى الحجرة التي طلبوها، وكان فندق «فيكتوريا» متوسطَ الحجم، ومع ذلك، فهو يُعتبر أكبر فنادق المدينة، التي لم تكن تضمُّ سوى ثلاثة فنادق أخرى.

في الحجرة عقد الشياطين اجتماعًا سريعًا، قال «أحمد»: نحن الآن بحاجة إلى حركة سريعة، إن الساحل هنا ممتدٌّ، ويبدو أن البحر بعيدٌ قليلًا؛ لهذا، نحن نحتاج إلى أن ننقسم إلى مجموعتين، كل مجموعة تأخذ مكانًا تتجول فيه وسوف يكون لقاؤنا هنا، في الحادية عشرة.

نظر في ساعته ثم قال: إن أمامنا متسعًا من الوقت.

نزل الشياطين بسرعة، وعند الباب، قال «أحمد»: سأتجه أنا و«عثمان» إلى شمال الساحل، و«فهد» و«هدى» يتجهان إلى الجنوب ... سوف نتحرك في دائرة لا تزيد على كيلومتر، حتى لا نفقدَ الاتصالَ بعضُنا ببعض، وحتى نستطيعَ أن نتحرك كوحدة واحدة. إلى اللقاء ...

تحرك «أحمد» و«عثمان» في اتجاه البحر. كانت أضواء الغروب قد بدأت تزحف على الوجوه وبدأ نوعٌ من الصمت يحيط به. كان الناس قليلين، وكان هذا يعطي الشياطين فرصةً أكبر للتحرك السريع ... اتجه الاثنان إلى الشاطئ، حيث كانت أصوات الموج تأتي

رقيقة ... كان هناك شارعٌ رئيسي يقطع المدينة من الشمال إلى الجنوب، ثم تتقاطع معه طُرُق فرعية. سارَا في أحد هذه الطرق، وكان يبدو أن المدينة تركن إلى النوم مبكرًا، وبعد خطوات قليلة ظهر مقهًى متوسط الحجم فقال «عثمان»: هذه فرصة لنجمع بعض المعلومات.

اقتربَا من المقهى، كان هناك بعضُ الصيادين يجلسون، فدخلَا ثم طلبَا مشروبًا ساخنًا. كانت النسمات الساحلية تجعل الجوَّ مائلًا قليلًا إلى البرودة، وبدآ يستمعان إلى أحاديث الصيادين، التي لم تكن تخرج عن أحوال البحر والصيد، والتغيرات الجوية المحتمل حدوثها اليوم التالي.

لكن فجأةً ظهر أحدُ رجال الشرطة الساحليِّين، وكان يلبس ملابسَه المميزة، وتبدو على وجهه آثارُ الشمس ... رفع يدَه بالتحية، فتعالَت الأصوات تردُّ التحية، ثم قال أحد الصيادين: أهلًا بالكابتن «روك» ... هل تنضم إلينا؟

اقترب «روك»، وكان يبدو أن رتبة الكابتن ليست صحيحة، وإنما كانت مجردَ تحية له لا أكثر. قال «روك»: أهلًا يا «دانش» ... لعل الصيد كان حسنًا اليوم!

دانش: لا بأس. نحمد الله.

جلس «روك» بين الصيادين الذين أفسحوا له مكانًا احترامًا له ... ودارَت الأحاديث من جديد، لم تكن الأحاديث تعني شيئًا هامًّا إلا عندما اقترب جرسون المقهى وقال ضاحكًا: هل سمعتَ عن عرق الذهب يا كابتن «روك»؟

نظر الجميع إلى الجرسون، وتشاغل «عثمان» و«أحمد» بينما كانت آذانهما متنبهةً تمامًا لما يدور.

قال «روك»: أيُّ ذهب؟

الجرسون: سمعتُ منذ أيام أنهم عثروا على عرق ضخم من الذهب الخام في منطقة قريبة منا!

روك: لم أسمع، وقد مرَّت سنوات منذ بدأ البحث عن الذهب في المناطق القريبة لكنَّ شيئًا ضخمًا لم يظهر ... إنها مجرد الكميات العادية!

ابتعد الجرسون عنهم، وانشغل في تلبية طلبات الزبائن، فقد بدأ المقهى يزدحم بالصيادين، وقال «روك»: إنني لم أسمع بحكاية عرق الذهب هذه مع أنني أقوم بالحراسة منذ أسبوع في المنطقة!

دانش: لعلها مسألة سرية!

نظر «روك» إلى أحد الصيادين، وسأل: «جروت» ماذا حدث بينك وبين الشاويش «تالبوت»؟

ابتسم «جروت» وقال: المسألة لا تعدو أن تكون مجردَ سوء تفاهم، لقد كنتُ عائدًا من البحر وقد تأخرت فيه، إنك تعرف أنه جاري منذ زمن، ومع ذلك أصرَّ على أن يرى أوراقي الرسمية الخاصة. قلت له: إنني أتركها دائمًا في البيت، فالجميع يعرفونني هنا، وأنت أولهم. قال: إن أوراقك لا بد أن تحملها، خصوصًا وأنت تتأخر في الليل ... حاولت أن أتفاهم معه، لكنه رفض، واقتادني إلى قسم الشرطة، وهناك وجدت الكابتن «هدلند» الذي استاء لتصرُّف «تالبوت» وانتهى الموقف عند هذا الحد.

فجأةً ضحك «روك»، وهو ينظر إلى الباب قائلًا: ليتنا تذكرنا مليون جنيه!

كان الشاويش «تالبوت» يقف عند الباب، وأشار له «روك» لينضمَّ إليهم. نظر إليهم قليلًا، ثم نادى الجرسون، الذي اقترب منه، بينما قال «روك» بصوت مرتفع: شاويش «تالبوت» تعالَ اشرب معنا شيئًا.

نظر له «تالبوت» في جد، ثم قال: إنني في نوبة الحراسة.

عاد له الجرسون بكوب شاي، فأخذه وانصرف. نظر «أحمد» إلى «عثمان» وقال: إنه صديقنا الليلة، هيَّا بنا. ثم غادرَا المقهى خلف تالبوت الذي كان يسبقهما بخطوات.

ارتفع صوت الموج، وازدادت برودة الليل. كان الظلام شديدًا تمامًا. فتقدَّمَا حتى أصبحَا بجوار «تالبوت» الذي كان يقف الآن على الشاطئ. قال «أحمد»: مساء الخير أيها الكابتن «تالبوت».

التفت «تالبوت» إليهما، ثم أخرج بطارية صغيرة، وصوَّبها إليهما، وقال: لماذا أنتما هنا الآن؟

أحمد: إننا سائحان، جئنا نستمتع بالليل معك.

تالبوت: لكنكما تعرفان اسمي!

أحمد: سمعنا حوارك مع الكابتن «روك» في المقهى.

قال «تالبوت» بلهجة صارمة: إنه ليس كابتن، إنه مجرد مُساعِد!

عثمان: هل تسمح لنا بأن نشاركَك سهرة الليلة؟

صمتَ «تالبوت» قليلًا ثم قال: إنها مسألة خطيرة ... فأنا لا أحب المزاح أثناء ساعات الحراسة.

أحمد: نحن يستهوينا ليلُ الساحل، وهذه فرصة طيبة أن نسهرَ معك ... إننا أعضاء فريق الجوالة في بلادنا، وقد تعوَّدنا أن نقوم بنوبات حراسة.

هزَّ «تالبوت» رأسَه، وقال: لا بأس ... لا بأس!

سار الثلاثة على الشاطئ الهادئ ... كان «تالبوت» قد بدأ يُحدِّثهم عن الصيادين وعن الحراسة، وعن مغامراته التي ينتصر فيها دائمًا. فَهِم «أحمد» و«عثمان» أن «تالبوت» من النوع الذي يحب أن يتحدث عن نفسه، فتركاه يتحدث، بل إنهما كانَا يسألانِه كثيرًا حتى يأنس إليهما ... فجأةً شدَّ انتباهَ «أحمد» شيءٌ، لكنه لم يستطع الإفصاح عنه ونظر إلى «عثمان»، إلا أن كلام «تالبوت» لم يكن يعطي أيَّهما فرصةَ التفاهم بالنظرات، فلم يكن أمام «أحمد» سوى حلٍّ واحد. لقد صرخ، ثم ارتمى على الأرض؛ مما جعل «تالبوت» يفزع ويُمسك به في حنان، متسائلًا: ماذا حدث أيها الصديق؟

كان «أحمد» قد ألصق أُذنه بالرمال، وهو يحاول أن يستمع. ثم فجأةً، تأكَّد لديه كلُّ شيء.

صوت يقترب من البحر

سَمِع «أحمد» صوتَ ماكينات تدور، وفَهِم «عثمان» ما فعله «أحمد»، وأشار إلى قدمِه، فأخذ «تالبوت» يُدلِّكها له برفق. ظل «أحمد» فترةً يستمع لذلك الصوت الذي أخذ يهدأ حتى كاد يتلاشى، وعرف في تلك اللحظة أن الغواصة قد وصلَت، وأنها ربما قد توقَّفت خلف حاجز «المرجان».

جلس وقد أظهر تماسكَه ثم قال: شكرًا أيها الكابتن «تالبوت»، وأنا آسفٌ أن سبَّبتُ لك هذا الإزعاج.

ابتسم «تالبوت» وقال: لا شيء. لقد أحزنني ما ألَمَّ بك.

أحمد: إنني الآن على ما يرام!

تالبوت: تستطيعان العودة إذن، حتى لا تزدادَ آلامُك.

أحمد: إنني بخير تمامًا.

قام «أحمد» إلا أن «تالبوت» طلب منه أن يستريح قليلًا. فكَّر قليلًا، ثم قال: سوف أستمر في مروري على الساحل قليلًا. إنكما يمكن أن تعرفَا مكاني عن طريق البطارية.

تركهما، وانصرف. لم يكن لخطواته صوتٌ؛ فقد كان صوتُ الموج يُغطِّي على كل شيء …

نظر «عثمان» في ساعته، ثم قال: إنها تُشير إلى الحادية عشرة، هذا يعني أن أفراد العصابة لا يزال أمامهم وقتٌ!

أحمد: أظن أنهم خلف حاجز «المرجان»، وهذا يستغرق وقتًا حتى يمكن تجاوزه للوصول إلى الساحل.

شعر «أحمد» بأن هناك رسالةً ما؛ فقد كان جهاز الاستقبال يُرسل بعض الحرارة، فتلقَّى الرسالة وكانت من «فهد» و«هدى»، قالت الرسالة: إن صوت الغواصة قد توقَّف

تمامًا. وإنهما قد تعرَّفَا إلى الحارس الليلي في منطقتهما ... ثم حدَّدَا النقطة التي يتواجدان فيها الآن ... ردَّ «أحمد» وقال: إنهما قد فعلَا نفسَ الشيء.

عاد «تالبوت» وكان ضوء البطارية يدل على مكانه ... همس «عثمان»: يجب أن نتخلص من هذه البطارية ... إنها يمكن أن تُفسد كلَّ شيء.

قال «تالبوت» وهو يقترب منهما: كيف حالك أيها الصديق الآن؟

أحمد: لا بأس ... كل شيء على ما يرام.

تالبوت: هل تنصرفان الآن؟

عثمان: نفضِّل أن نسهر معك.

تالبوت: سوف أعود إلى كشك الحراسة لأرى إن كان زميلي قد عاد أم لا.

أحمد: هل يوجد زميل آخر؟

تالبوت: نعم. إنه سوف يتسلَّم الحراسة بعد نصف ساعة، حتى الرابعة صباحًا.

أحمد: هل يمكن أن نتعرف إليه؟

تالبوت: لا أظن أنكما سوف تسهران حتى الصباح.

أحمد: هذا صحيح.

تالبوت: إذن، سوف أترككما الآن. أظن أنكما تعرفان الطريق إلى فندق «فيكتوريا».

أحمد: إنها مسألة سهلة.

تالبوت: تحياتي لكما إذن ... وأرجو ألَّا يطولَ بكما الوقت هنا!

أحمد: إلى اللقاء.

انصرف «تالبوت» ونظر «أحمد» في ساعته، وكانت تقترب من منتصف الليل، ثم أرسل رسالة إلى «فهد»: ما الأخبار عندكم؟ وجاءه الرد: لا شيءَ حتى الآن ... لقد انصرف الحارس لتغيير الحراسة، وسوف يتسلَّم حارس آخر في خلال نصف ساعة.

قال «عثمان»: ينبغي أن نختفيَ الآن، حتى نُعطيَ فرصة للأمور لتسير سيرَها الطبيعي، وينبغي أن يفعل «فهد» و«هدى» نفس الشيء.

أرسل «أحمد» رسالة سريعة إلى «فهد» بهذا المعنى ... ثم بدآ يبحثان عن مكان يصلح للاختفاء. تحرَّكَا من مكانهما في هدوء، واقتربَا أكثر من الماء، حتى اصطدمَت أقدامُهما بشيء صلب.

فجأةً قال «عثمان»: يبدو أن أمامنا مرتفعًا ما ... قد يكون صخرة، وقد يكون تلًّا من الرمال.

اقتربَا من المرتفع، وتحسَّساه ... كان صخرةً متوسطةَ الحجم، فقال «أحمد»: إنها تصلح للاختفاء. لكن ليست هذه هي المسألة. إنها مسألة الحارس!

استندَا إلى الصخرة، وكان ثمة صوتٌ يأتي من أعماق البحر. وضع «أحمد» أُذنه على الصخرة، في نفس الوقت الذي رقد فيه «عثمان» على الرمال، وألصق أُذنه بها ... تناهَى إليه صوتُ الماكينات من جديد فقال «عثمان» همسًا: يبدو أنها بدأَت تغوص مرة أخرى، بعد أن أفرغت حمولتها.

قال «أحمد»: نعم. إنني أسمع صوت الماكينات.

لم يكَد «أحمد» ينتهي من كلماته، حتى جاءته رسالةٌ من «فهد»: هناك صوت مجاديف ... يبدو أن العصابة تستخدم قوارب المطاط.

ردَّ «أحمد»: إنني لا أسمع شيئًا ... قد يكون اتجاه العصابة عند النقطة التي تقف فيها الآن.

نظر «أحمد» إلى «عثمان» وقال هامسًا: يجب أن نتحرك في اتجاه «فهد». هل تسمع شيئًا الآن؟

ردَّ «عثمان»: لا شيء!

نقل «أحمد» رسالة «فهد» إلى «عثمان» وفي نفس الوقت لمع ضوءٌ في الطريق. كان الضوء يتحرك، حتى إن «أحمد» قال: يبدو أن الحراسة قد بدأت ... إن الحارس الجديد في الطريق إلينا ...

لم يكَد «أحمد» ينتهي من كلماته، حتى جاء صوت الحارس: هل أنتما الصديقان؟

ردَّ «أحمد» بسرعة: نعم ... أهلًا بك.

الحارس: أهلًا بكما ... ينبغي أن تنصرفَا الآن ... إن الساحل منذ الساعة يبدو غيرَ آمن، فنحن نتعرض لمخاطر كثيرة؛ لأن العصابات البحرية تبدأ عملها في الوقت المتأخر من الليل.

كان «الحارس» قد اقترب منهما تمامًا فأكمل: لقد أخبرني «تالبوت» عنكما ... لكني أظن أنكما لن تسهرَا حتى الصباح، فنحن نتعرَّض أيضًا لمرور رئيس فرقة الحراسة ... ووجودكما هنا ممنوع.

فكَّر «أحمد» بسرعة، ورأى أن الأحسن لهما أن ينصرفَا الآن بعيدًا، حتى لا يلفتَا النظر، فقال: وداعًا أيها الصديق ... نتمنَّى لك حراسة هادئة!

أخذَا طريقَهما في الاتجاه الذي حدَّدَته رسالةُ «فهد»، وفي نفس الوقت فكَّر «أحمد»: ما دامت الحراسة قد تغيرت هنا ... وهناك، فلا بد من حل.

أسرع بإرسال رسالة إلى «فهد» حتى يعرف الموقف تمامًا. جاء الردُّ: لقد انتقلنا من المكان إلى مكان مختلف ... إننا على اليمين من تحرُّكِكما الآن ... لقد رفض الحارس أن نسهر معه.

أرسل رسالةً قال فيها: إننا في الطريق إليكما.

أخذَا طريقهما في الاتجاه الذي حدَّده «فهد» ... كانت الرمال كثيفة في هذه المنطقة ولذلك فإن تقدُّمَهما كان بطيئًا ... أخرج «أحمد» البوصلة ثم أخذ يسير وفقَ اتجاه السهم فيها، وكان السهم يتجه إلى حيث يوجد «فهد» و«هدى». سمع «أحمد» حديثًا بين اثنين، أحدهما «فهد» فعرف أن الآخر هو الحارس ... كان واضحًا أنهما يأخذان طريقهما في اتجاه المدينة ... كانت الرياح تحمل صوتَيهما في وضوح، وسمع الحارس يقول: سوف أظل في كشك الحراسة، فالبرد يبدأ بعد قليل.

أخذ «أحمد» و«عثمان» طريقًا مبتعدًا عنهما، وكانت هذه فرصة ليقتربَا من الشاطئ ... بعيدًا عن الحارس ... ثم اختفى صوتُ «فهد» وتناهَى إلى سمْع «أحمد» صوتُ المجاديف يقترب، فنظر إلى «عثمان» وهمس: هل تسمع؟

عثمان: نعم. يجب أن نختفيَ الآن.

أسرعَا بالابتعاد عن الشاطئ، ولم يَطُل بهما الطريق؛ فقد ظهر أمامهما كوخٌ متهدِّم لجآ إليه، ثم اختفيَا فيه. بعد لحظات جاءت رسالة من «فهد»: لقد اضطررنا للذهاب إلى المدينة، بعد أن أصرَّ أحدُ الحارسَين على توصيلنا ...

نقل «أحمد» الرسالة إلى «عثمان» الذي قال: نحن لن نحتاج إليهما الآن ... لا تزال العصابة مختفية ولم تظهر بعد.

لم يكَد «عثمان» ينتهي من كلامه حتى سمعا صوتَ ارتطام بالماء، وحدث نوعٌ من الضجيج المكتوم، استمر لدقائق، ثم انتهى إلى حالة صمْتٍ كاملة ... أعقبَتها حركةٌ هادئة في الماء. ومرَّت دقائق ... ثم ارتفع صوتٌ: مَن هناك؟ فعرفَا أنه صوت الحارس، وأنه لا بد قد كشف وجودَ أحد، وتكرر النداء: مَن هناك؟ ثم دار حوار: مَن أنت؟ نحن بعض الصيادين فقدْنا طريقَنا، ونزلْنا هنا عندما رأينا ضوء البطارية. ثم ظهر وجهُ أحد الرجال، فقال «أحمد» الذي كان يرى وجهَ الرجل بوضوح: لا بد أنه أحدهم.

زحف الاثنان، وأخذَا يقتربان من مكان الحارس والرجل ليسمعَا جيدًا الحوار الذي يدور بينهما.

الحارس: هل تعرفون أين أنتم الآن؟

الرجل: لقد كنا نقصد الاتجاه إلى بلدة «روكامبتون».

الحارس: لقد انحرفتم كثيرًا ... إنكم الآن في «ماكاي».

الرجل: هل يعني أننا بعدنا كثيرًا؟

الحارس: نعم. وإلى أين ستذهبون الآن؟

الرجل: لا ندري!

مرت لحظة صمْتٍ، أعقبها قولُ الحارس: إذن، هيَّا معي إلى قسم شرطة الساحل حتى نرى ما يمكن عمله.

الرجل: أظن أنه لا داعيَ لذلك. إن الرياح هي السبب في نزولنا عند هذا الشاطئ.

ومرَّت لحظة صمت أخرى، وجَّه أثناءها الحارسُ ضوءَ البطارية في اتجاه الأصوات الآتية من البحر، ثم قال: إنني أرى آخرين قادمين إلى هنا!

لم يردَّ الرجل مباشرة، غير أنه قال بعد لحظة: ربما ضلُّوا مثلنا الطريق ...

تقدَّم الحارس، بينما سار الرجل خلفه، ولم يكَد الحارس يتقدم خطوتَين، حتى ضربَه الرجل ضربة عنيفة على رأسه، جعلَته يتهاوى، ثم يسقط على الأرض.

مطاردة في الليل

كاد «عثمان» يقفز من مكانه، إلا أن «أحمد» كان أسرعَ منه، فقد منعه من القفز، فنظر إليه «عثمان» في دهشة وهو يقول: لماذا؟

أحمد: انتظر، لا بد أن نأخذ فرصتنا كاملة، فلننتظر وصول الآخرين.

ظل «عثمان» في مكانه، لكن فجأةً سمعَا صوتَ أقدام تقترب ... كان يبدو أن الخطوات حذرة، لكن صوتها فوق الرمال كان مسموعًا، وكان له وقعٌ معين. شعر «أحمد» أن البوصلة تُصدر إشارة ما فنظر إليها ... كانت تُعطي إشارة اقتراب «فهد» و«هدى»، ولم تمضِ لحظة حتى ظهرَا معًا، فأشار لهما «أحمد» أن يظلَّا بجوارهما في صمْت. كان الرجل لا يزال يقف في مكانه بجوار الحارس، ثم فجأةً ظهر في قلب الظلام بعض الرجال ... كانت تبدو خيالاتهم أمام انعكاسات أضواء بعيدة على سطح الماء، وكان عددهم أربعة، ولم يكن أحدهم يحمل شيئًا، وبدءوا يتحدثون. فقال واحد منهم: لقد انتهى كلُّ شيء يا سيد «والتر»!

كان سماع اسم «والتر» هو التأكيد النهائي على أن هؤلاء هم أفراد المجموعة «س» وهذا هو قائدهم «والتر» ... قال «والتر»: هل وضعت علامة مميزة؟

قال الرجل: نعم. هل نتحرك الآن؟

والتر: ليس قبل أن ننتهيَ من هذا.

ثم ركل الحارسَ بقدمه، فقال أحدهم: فلنُلقِ به في البحر.

صمتَ الرجال قليلًا، وكان يبدو أنهم يفكرون ... قال «والتر»: على كل الأحوال هي فكرة طيبة يا «بيرت».

التفَّ رجال العصابة حول الحارس الملقى على الأرض، ثم حملوه بين أيديهم، وبدءوا يتقدمون في اتجاه البحر، ولم يكن هناك وقتٌ للانتظار، ففي لمحِ البصر، كان الشياطين

ينطلقون في اتجاههم ... وفي قفزة واحدة، كان الشياطين يطيرون في الهواء، وفي ضربة واحدة ... وكأنها اتفاق، كان رجال العصابة يطيرون ثم يسقطون على الأرض. وقع الحارس هو الآخر من بين أيديهم، لكنه لم يتحرك.

أصبح على كل واحد من الشياطين أن يتصرف مع أحد أفراد العصابة ... جرى أحدهم في اتجاه الكوخ، ثم اختفى خلفه، كان «عثمان» يطارده. في نفس الوقت كان «أحمد» قد اشتبك مع «والتر» ... جذبه «أحمد» بقوة فاندفع، وبحركة مزدوجة ضربه بقدمَيه، فسقط على الأرض مندفعًا حتى اصطدم بالحارس.

ضرب «فهد» أحدَهم ضربةً قوية فتألَّم بشدة، ثم وقع على الأرض ... في نفس الوقت الذي كان فيه الآخر قد أمسك بذراع «هدى» ودار بها دورتين، لكن «فهد» تلقَّاه قبل أن يقوم بحركته الخطافية، فضربه بقدمه فانقلب على وجهه في الرمال ... وقفزت «هدى» بعيدًا. التفت «فهد» خلفه، فلم يجد الرجل، فقد كان الظلام فرصةً طيبة للهرب. رقد «فهد» على الأرض، ثم ألصق أُذنه بالرمال، فسمع وقْعَ خطوات تبتعد بجهد، في اتجاه الغرب، فأسرع في نفس الاتجاه، ثم أطلق صفيرًا متقطعًا ... فسمع الرد من «عثمان»، الذي كان يطارد أحدهم.

كان «أحمد» قد استطاع ضرْبَ «والتر» بكلتا يدَيه فوق رأسه، مما جعله يسقط مغشيًّا عليه، فأوثق يدَيه ثم جرَّه حتى الكوخ، فأدخله فيه. في نفس اللحظة دخل «عثمان» وهو يسوق أمامه آخر ... سمع الاثنان نداءً عاليًا، عرفَا أنه صادرٌ من «هدى» ... جرَى «أحمد» في اتجاهها ... فوجدها ملقاةً على الأرض، نظر حوله فلم يرَ أحدًا ... عرف أن آخر قد فرَّ، فأطلق صفير الشياطين ... ردَّ «فهد» بنفس الصفير، بمعنى أن رجلًا اختفى، أسرع «أحمد» بإسعاف «هدى» التي أفاقت على الفور ثم قال: إلى الكوخ ... إن أمامنا مطاردةً مثيرة!

أسرعَت «هدى» إلى الكوخ ... وأسرع «أحمد» في اتجاه الرجل ... فكَّر أن يُطلقَ طلقةً مضيئة تكشف المكان، لكنه تراجع مؤقتًا. أخرج البوصلة، ثم أدار أحدَ أزرارها فتحرَّك السهم إلى الغرب، عرف أن الرجل في مكان قريب. أخرج مسدسه، ثم أطلق طلقة بلا صوت ... فجأةً صرخ الرجل، فأخذ «أحمد» اتجاه الصرخة. كان يتقدم بحذر خشيةَ أن تكون الصرخة مجردَ كمين يمكن أن يقع فيه، أطلق صفير الشياطين مرة أخرى، جاءه الردُّ من «فهد» أن الرجل غير موجود ... كان هذا يعني فشلَ المهمة ... أطلق صفيرًا آخر بمعنى «اقترب مني».

كان يتقدم في نفس الاتجاه الذي جاءت منه الصرخة ... فجأةً ... شعر وكأن حائطًا وقع فوقه ... لقد قفز الرجلان معًا فوق «أحمد»، فوقع بهما على الأرض ... وقبل أن يتمكن أحدهما من القيام، كان قد قفز قفزةَ الثعبان، فأصبح على قدمَيه، ثم دار دورة كاملة، ثم ضرب الاثنين بكلتا قدمَيه، فدارَا بقوة الضربة، فعاجل أحدهما بلكمة قوية، إلا أن الرجل تحمَّلها، ثم ضرب «أحمد» «ضربة» خطافية، جعلَته يتراجع، ويكاد يتهاوَى ... في نفس اللحظة كان «فهد» قد وصل، فأسرع إلى أحد الرجلَين، وكان يفكِّر في الجري ... طار «فهد» وألقى بنفسه فوق الرجل، إلا أن الرجل كان قد أحس بحركة «فهد»، فتراجع دفعة واحدة، جعلَت «فهد» يسقط فوق الرمال. ألقى الرجلُ نفسَه فوق «فهد» الذي كان قد رفع قدمَيه وضرب الرجلَ بهما معًا، فاصطدمَا بوجهه، فاندفعت الدماء بقوة جعلَت الرجل يتهاوى على الأرض، وهو لا يعي شيئًا، وأسرع «فهد» إليه، فقبض عليه. وفي نفس اللحظة كان «أحمد» قد أوثق الرجل الآخر، ثم وقف الاثنان يشمَّان هواء الليل البارد، ليشعَرا بالقوة، غير أنهما لم يكادَا يفعلان ذلك، حتى جاءهما صفيرُ الشياطين، عرف «أحمد» أنه صفير «هدى» ... كان معنى الصفير: لقد هرب الرجلان!

أرسل «أحمد» صفيرًا إلى «هدى» يسأل: أين «عثمان»؟

أجابت «هدى»: إنه يطاردهما. فنظر «أحمد» إلى «فهد» وقال: عليك بحراسة الرجلَين وسوف ألحق بـ «عثمان»، واستدعِ «هدى» إليك.

بينما كان «أحمد» يتقدم في الليل ... كان قد أرسل صفيرًا إلى «هدى» يطلب إليها الحضور إلى «فهد»، ثم اندفع في طريقه. فكَّر «أحمد» أن الرجلين إذا وصلَا إلى المدينة، فسوف يندسَّان في زحام البيوت، ويمكن أن يختفيَا في أي مكان، فحاول أن يتقدم بسرعة بالرغم من أن الرمال كانت تعوق تقدُّمَه.

فكَّر أن البوصلة يمكن أن تكشف مكانهما إذا كانَا قريبَين، فأخرج البوصلة ثم أدارها وأرسل صفير الشياطين ... جاءه الردُّ من «عثمان» وكان الرد يقول: إنهما أمامي مباشرة أنا موجود عند النقطة «د». فضبط مؤشر البوصلة على النقطة «د» فأضاءت ضوءًا خافتًا، فأخذ اتجاه السهم ... وانطلق.

وفي الأفق، كان الهلال الوليد يظهر صغيرًا، فأرسل ضوءَه الضعيف إلى الوجود، وبدأت الأشياء تظهر خافتة، شاحبة ... وقريبًا منه، رأى «عثمان» يعدو، فأرسل صفيرَه إليه. أجاب «عثمان»: إنهما أمامي مباشرة. وأرسل «أحمد» نظرةً في نفس الاتجاه، فشاهد الرجلان يندفعان بسرعة، فأخرج مسدسه ثم أطلق طلقة مخدرة. لحظة، ثم سقط أحد

الرجلين. غير أن الآخر، كان قد اقترب من مباني المدينة، وقبل أن يندفع في أحد الشوارع كانت طلقة أخرى قد انطلقت … فاختفى الرجل. اقترب «أحمد» من الرجل الأول، فوجد «عثمان» يقف بجواره … تركه «أحمد» واستمر في عَدْوه، حتى بداية المباني وكان الرجل الآخر يرقد مكومًا … اقترب «أحمد» منه ثم حمله على كتفَيه، وعاد به … كان الرجل ثقيلًا، إلا أن «أحمد» ظل متقدمًا به حتى وصل إلى «عثمان». ألقى الرجلَ بجوار الآخر وقال: إن أحدهما «والتر» قائد المجموعة. وكيف تركتَه يهرب منك؟

عثمان: لقد خدعني أحدهما … وكنت أظن أنه قد فقد حياته إلى الأبد!

أحمد: ينبغي أن نلحق بالآخرين.

حمل كلٌّ منهما صيدَه، وعادَا في بطءٍ … كانت المسافة طويلة … وكان الهلال الوليد قد وقف فوق الأفق لا يبرحه … قال «أحمد»: إنه هلال أول الشهر، وسوف يختفي بعد قليل.

ظلَّا في تقدُّمِهما، حتى شعرَا بالتعب. قال «عثمان»: ينبغي أن تتوقف قليلًا … إنني أشعر بالإجهاد. فالرجل ثقيلٌ للغاية.

أنزلَا الرجلَين، وجلسَا فوق الرمال. أرسل «أحمد» صفير الشياطين يسأل «فهد»، وظل ينتظر الردَّ للحظات إلا أن الردَّ لم يأتِ … نظر إلى «عثمان» وقال: يبدو أن شيئًا قد حدث!

أرسل الصفير مرة أخرى، ولم يأتِ الردُّ فقال: ينبغي أن أذهب إليهما، وعليك بحراسة الرجلَين، إن أيًّا منهما لن يستيقظ قبل نصف ساعة … سوف أعود حالًا.

انطلق «أحمد» يعدو بسرعة … حتى إذا اقترب … توقَّف فجأةً … فقد شاهد ما لم يكن يخطر له ببال.

صراع ... في الأعماق

لقد كانت هناك مجموعة من الرجال، يقتادون «فهد» و«هدى» إلى البحر ... وقف يفكر لحظة، ثم أطلق صفيرًا متقطعًا ... ردَّ عليه «عثمان» ولم تمضِ لحظات حتى كان «عثمان» يقترب عَدْوًا ... ولم يكَد يصل حتى قال: لقد أوثقتهما جيدًا.

أشار «أحمد» في اتجاه الرجال، وقال: انظر!

نظر «عثمان» إلى حيث أشار «أحمد»، وظهرت على وجهه الدهشة، وقال: ما هذا؟ ... هل خُدعنا؟

أحمد: يبدو أنهما مجموعتان. واحدة تنزل بعد الأخرى؛ ضمانًا لتفادي لأي خطأ ... ويبدو أن تفكيرهم كان صحيحًا.

انتظرَا لحظة، فرأيَا المجموعة أمام قوارب من المطاط وقد نُفِخت بسرعة، ثم بدءوا يركبونها، وهمس «أحمد» يجب أن يفعل «فهد» شيئًا!

لم يكَد «أحمد» ينتهي من جملته، حتى كان أحد القوارب يتمايل ... حتى ملأه الماء.

همس «عثمان»: لقد بدأ «فهد»! ... وحدثَت جلبةٌ فتقدَّم «أحمد» و«عثمان» زحفًا حتى لا يلفتَا النظر ... وأخذَا يقتربان أكثر فأكثر. فجأةً، وجد «أحمد» الحارس، وقد أجهزَت عليه العصابة.

اهتز للمنظر لحظة، لكنه استمر فأخرج مسدسه الكاتم للصوت، ثم صوَّبه في اتجاه أحد القوارب وأطلقه.

أصابَت الطلقة جسم القارب، فانفجر ... وسقط مَن فيه في الماء. أسرع «عثمان» هو الآخر وأطلق طلقة، فانفجر الآخر. تعالَت الضجة قليلًا، لكنهم كانوا حريصين على ألَّا تكشفَهم صيحاتُهم. وفجأةً دوَّت طلقةٌ بجوار «أحمد»، وانغرست في الرمال، فهمس لـ «عثمان»: يجب أن نصل إلى الماء بسرعة.

أخذَا يزحفان مبتعدين عن مكان العصابة، حتى نزلَا الماء ... أخرج «أحمد» أنبوبة صغيرة، فجذب منها أنبوبة أخرى ... وثالثة، ورابعة حتى أصبح طولُها أكثرَ من متر ونصف ... ثم وضع طرفَها المائل بزاوية قائمة في فمه، وغطس في الماء. وكما فعل «أحمد» فعل «عثمان» ... ولم يكن لهما من أثر، سوى ما يظهر من الأنبوبة على سطح الماء، حتى يتمكَّنَا من التنفس ... أخذَا يقتربان من العصابة التي كانت تتجه إلى أعماق بحر «المرجان» ... ثم فجأةً أصبحَا بينهم تمامًا. أخرج «أحمد» حبلًا رفيعًا من السلك اللين ... ثم قذف به حول وسط أحدهم، فالتفَّ السلك، ثم جذبه «أحمد» بقوة فصرخ الرجل فزعًا: أسماك القرش تهاجمنا.

حدَث هرجٌ بين أفراد العصابة، فأرسل «أحمد» سلسلة من الموجات، جعلَت «هدى» تنظر إلى «فهد» ... كان الاثنان مربوطَين، يجلسان في قارب مطاطي ... أرسلَت «هدى» صفيرًا، فَهِمه «فهد»، فعرف أن «أحمد» و«عثمان» في الماء تحتهما مباشرة ... كانت هناك عدة قوارب مطاطية أخرى. أخرج «أحمد» سكينًا، وثقب أحدَها، وبدأ الماء يندفع في القارب، فصاح أحد أفراد العصابة: إن الأسماك المتوحشة تهاجم القوارب!

صاح آخر: يجب أن نعود إلى الشاطئ، فليس أمامنا شيءٌ نحتمي به ... والأسماك تزداد كلما تقدمنا أكثر.

بدأت القوارب تعود إلى الشاطئ ... اقترب «عثمان» من أحدهم، ثم أصابه بخنجره فاندفع الماء، وبدأ الرجال يسقطون ... اقترب «أحمد» من قارب «فهد» ثم أرسل الموجات ... فتحفز الشياطين. أصاب قاربهما بالخنجر فاندفع الماء، وألقى «فهد» و«هدى» بنفسَيهما في الماء ... كان «أحمد» أسرع إليهما ... فقطع وثاقهما بالخنجر ... وفي الأعماق كانت تدور أغرب محادثة بالأيدي.

كان «فهد» قد بدأ يركب أنبوبته ... وفعلَت «هدى» مثله، وعن طريق اللمس، قال «أحمد»: اتجِهْ فورًا إلى الشاطئ، ونفِّذ الخطة «أ».

أسرع «فهد» مندفعًا إلى الشاطئ ... بينما كان «أحمد» و«عثمان» و«هدى» يرقبون تقدُّمَ الرجال كلهم إلى الشاطئ خوفًا من الأسماك ... أخذ الشياطين يقلدون حركة سمك القرش، بتلك الدوامات المائية التي يُحدثها، ومع كل دوامةٍ يرتفع الضجيج ... ثم اقترب «أحمد» من أحدهم، وأخرج خنجره وجرحه في ساقه؛ صرخ الرجل واندفعت الدماء منه ... امتلأ أفراد العصابة بالذعر، وصاح الرجل: ما دامت الدماء قد ظهرت، فإن أسماك القرش سوف تهاجمنا بضراوة. إن الدماء تُثيرها، أسرعوا إلى الشاطئ.

كانت لحظة مثيرة؛ الشياطين في الأعماق دون أي مقاومة أو اشتباك، والعصابة عند السطح، تأخذ طريقها إلى مصيرها المحتوم.

فجأةً، شاهد «عثمان» أحد أفراد العصابة، يأخذ طريقه إلى الأعماق، وهو يجدف بذراعَيه ورِجلَيه. ارتسمت الدهشة على وجه الرجل، ثم طفَا على السطح وصاح: إننا أمام مخلوقات غريبة.

كانت الأصوات تتردد فيسمعها الشياطين ... سأل أحدهم: ماذا هناك؟

فردَّ الآخر: هناك رجال في الأعماق!

وفجأةً، اندفع عدد من الرجال إلى الأعماق. كانوا يلبسون نظارات الماء، ويُمسكون الخناجر، وعرف الشياطين أنهم مُقبِلون على معركة رهيبة، فغاصوا في أعماق أبعد ... وبدأت المطاردة. فجأةً ... ظهرت أمامهم صخرة مرجانية، ذات شعب مسنونة، كأنها الحراب ... أرسل «أحمد» إشارة تقول: احذروا الشعب المرجانية إنها ممكن أن تكون مصيدة لنا ... أو لهم.

كان الرجال يقتربون ... بينما أخذ الشياطين طريقَهم مندفعين في اتجاه الشعب المرجانية ... حتى إذا اقتربوا منها، بدءوا يأخذون طريقهم إلى السطح، وتناهَت إلى سمعهم صرخة ... عرف الشياطين أن أحد رجال العصابة قد اصطدم بالشعب المرجانية، وأن هذه نهايته ... كانت مجموعة أخرى قد أخذت طريقها خلف الشياطين، في نفس الوقت الذي استمر فيه الشياطين ... إلى السطح.

نظر «أحمد» إلى أسفل ثم ظهرَت الدهشة على وجهه، لقد اصطبغ الماء بلونٍ أحمرَ قانٍ. عرف أن أسماك القرش قد وصلت إلى العصابة ...

أشار إلى الشياطين، فرأوا المنظر ... كان يبدو الصراع بين أسماك القرش وأفراد العصابة عنيفًا. ثم أصبح الشياطين فوق سطح الماء، كان الشاطئ يبدو غير بعيد، كانت مجموعة أخرى من أفراد العصابة ... تأخذ طريقها إلى الشاطئ ...

قال «أحمد»: لقد انتهت مجموعة الأعماق ... قامت أسماك القرش بدورها معهم.

ابتسمت «هدى» وقالت: أسماك الشياطين!

أخذوا يتقدمون سباحةً. لكن فجأةً، صاح «أحمد»: احذروا. هناك سمكة قرش خلفنا تمامًا.

استعد «أحمد» ثم تنفَّس نفَسًا عميقًا ... وغطس في الماء ... ظل الشياطين ينظرون في اتجاه سمكة القرش، التي كانت تأتي مندفعةً في اتجاههم ... وهي تُثير الموجات العالية، ثم

فجأةً، ارتفعت موجة عالية، حتى إن الشياطين لم يرَوا ما خلفها ... وعندما هدأت الموجة، شاهد الشياطين بُقَع الدماء تطفو فوق السطح ... علَت الدهشةُ وجوهَهم، كانوا ينظرون في فزع ... فجأةً سمعوا صفارات متتالية، التفتوا تجاهها وكانت لنشات شرطة الساحل تأخذ طريقها إليهم ... قالت «هدى»: إن «أحمد» لم يظهر بعد!

عثمان: «يبدو أنه ...» لكن لم يُكمل كلامه ...

هدأ الموج وبدأت بُقَع الدماء تنتشر على السطح، فجأةً خرج «أحمد» بجوارهم صاحت «هدى»: «أحمد»!

رفع «أحمد» إصبعَيه علامة النصر ... وقال: أول قرش!

اقتربت اللنشات، حتى توقَّف أولها عندهم ... كان ضوء النهار قد بدأ ينتشر، وكان أفراد العصابة يقتربون من الشاطئ. أشار «أحمد» في اتجاههم، فابتسم قائد اللنش وهو يقول: إن زملاءَنا في انتظارهم.

وعندما أصبحوا داخل اللنش، قدَّم لهم القائد نظارة مكبرة، وضعها فوق عينَيه ثم بدأ يرى التفاصيل أكثرَ وضوحًا ... كانت هناك مجموعة كبيرة من رجال شرطة الساحل يقفون ببنادقهم ... وكان يقف بينهم «فهد» الذي رفع يدَه بالتحية.

اقترب اللنش من المرساة التي يقف عندها ... كان رجال الشرطة قد قبضوا على العصابة ... وعندما كان القائد يقدِّم شكرَه لـ «أحمد»، قال «أحمد»: إن هناك مسألة أخرى!

ثم أخذ طريقه إلى الشاطئ، وبجواره الشياطين، والقائد وبعض الشرطة ... وعند نقطة معينة وقف بجوار علامة مميزة ثم قال: فليحفر أحدٌ هنا.

بدأ بعض رجال الشرطة يحفرون، ثم ظهر صندوقٌ متوسطُ الحجم، مغطًّى بالقصدير.

قال «أحمد»: هذه مفرقعات العصابة ... لا بد أنهم قد أخفَوا أكثر من واحد.

رفع الشياطين أيديَهم بالتحية، وهم يغادرون الشاطئ. وفي فندق «فيكتوريا» أرسلوا رسالة إلى المجموعة «ط/ن»: لقد هزمنا الفريقَ الآخر. إلى اللقاء.

وفي اليوم التالي ... كانوا في الطريق إلى الطائرة ... في طريق العودة ... ولكن حدَث شيءٌ جعلهم يبتعدون بسرعة ... ليبدءوا جولة أخرى مع «سادة العالم».


هنداوي